# النعش[1]

صابر العادلي

بودابست

ثمت واقعتان – كنت شاهدا عليهما جرتا في قرية "تلوانه" الواقعة في دلتا مصر إلى الجنوب من "منوف" والشمال من سنتريس وشطانوف، وتطل من الشرق على "البحر الأعمى" لكونه أشبه ببحيرة لا تصب ولا تفتح على مجرى.

والتاريخ الشفاهي للقرية يزعم أن الاسم هو "تل وانه" وأن وانه هذه كانت أميرة فرعونية. وفي مدونات القرن الثامن عشر، يرد الاسم هكذا "ثالوانا". واستبدال الثاء تاء هو منحى لغوي مصري[2].

جرت الواقعة الأولى في منتصف الأربعينات من القرن الماضي، وكانت الانتخابات النيابية في معمعتها. وما أثار أعظم الدهش هو مقدم موكب (زفة) انتخابية يتصدرها نعش تقليدي بكل المعايير، محمولا على أعنة فلاحين جلدة وفوق النعش رجل جالس لا تخلو هيئته من مهابة. صاحب الموكب الهرج والمرج وخالط زغاريد النسوة المستبشرة عنان السماء[3]. ورغم أن النعش كان يحمل حيا لا ميتا، وأنه تحول إلى منبر نقالين لشخص ذي حيثية يراد له أن يرى، ولخطابه أن يصل. رغم ذلك فإن الاستياء لم يحل بأحد، ليس لوقع الابتداع أو الابتكار، ولا لتميز شعب عريق بالمرونة فحسب، كما سنرى. وانفضت "العاركة" بسلام كما يقال في هذه الديار. ولم يحرك أحد ساكنا لاجتراح مقدسا في بلاد قامت حضارتها على عقائد ما وراء الموت. ومولع أهلها بتوقير الموتى. ولم يمض وقت طويل إلا وقد انتصب نفس النعش أمام أحد الدور وكان هذه المرة يتيه بحلة من بهاء تأخذ بجماع النفس، مؤلفة من سبعة عقود من السعف الغض، مضفور عليها كل متاح من الزهور الحوشية من أقحوان وعليق وحتى نوار البرسيم ومن ساسابان وصفصاف وحور وكافور.

ولقد حمل النعش هذه المرة عذراء اخترمها الموت غرقى فقد (اشتهاها) جني "بئر العبادله" فيما يزعمون، فقد تزحلقت قدمها وهي تسقى مواشيها عند الغروب. كانت جنازتها مزيجا من رقص فاجع، ينفرط له القلب ونواح أليم. وقد راحت أمها والقريبات يلطخن رؤوسهن بطين الترع ويلطمن ويفردن مناديلهن الزرقاء أمام[4] وجوههن. فيما تذرع الرحال يصبر عظيم متمتمين: إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[1] النعش محفة من خشب لحمل الموتى طولها ٢١٠ سم عادة وعرضها ٥٥ سم لها أربع قوائم ارتفاع الواحدة منها ٦٠ سم. ويمتد من كل ركن ذراع طول الواحدة ٦٠ سم، تحمل المحفة منها. والمحفة مسورة بسياج (كورنيش) خشبي من كل جوانبها عدا الخلفي منها تسهيلا لوضع الجثمان عليهما، ارتفاع الكورنيش ٤٠ سم وقد يزدان النعش بنقوش مثل لفظ الجلالة. ومن أطرف ما صادفت عبارة "ولقد خاب من افترى". "وأنا سرير المنايا".

[2] عوض، ١٩٩٣:١٨٣، يكتبها Lane (1978:510) بالتاء.

[3] زغرودة (ج) زغاريد: صيحات حادة متناغمة تطلقها النساء في فوره العاطفة، وعند الطرب والفرح. أصلها: رى رى رى = اسم الإله "رع"، بالقبطية. أي إنها تهتف باسم الإله. وهكذا فإن اسم العشب الطبي: (Pulicaria arabica Coss.) رعراع أيوب معناه = رع رب أيوب انظر نظير ١٩٦٧:٩٩ وهو يستخدم في الأربعاء السابق لعيد شم النسيم بنقعه في الماء والاغتسال به، ويزعم أن أيوب قد شفى باستخدامه.

[4] عن طقوس الندب، والرقص الجنائزي وتلطيخ الوجه والصدر بالطين Herodotos الكتاب الثاني فقرة ٨٥، نظير ١٩٦٧:٩٩، Blackman 1995:101, Lane 1978:99.

*THE ARABIST. BUDAPEST STUDIES IN ARABIC 23 (2001)*
https://doi.org/10.58513/ARABIST.2001.23.4

ومضت الأيام حتى كان عام ١٩٥٧ ليستولى النعش - من جديد على ألباب أهل القرية، بل وكل القرى المجاورة. "فيشا النصارى" "السروهيت" "والخضره". ولا عجب، فقد حمل النعش هذه المرة "معوضا". وصدر عن النعش ما لا يصدقه عقل. "معوض": كان أحدب، قميئا، زري الهيئة، قبيح الخلقة، أشعث اللحية، أعمص. يرتدي زعبوطا تجلد من سيل مخاطه ولعابه. وطرطورا من اللباد أسوأ حالا. كان معتوها وعييا. لا يعرف من الكلام إلا صوت حشرجة، أشبه بنشيج فظيع. كنا - نحن الصبية - قد اعتدناه وقد اعتادنا بدوره. كان يعرف مقدمه، من زفة الأطفال، لا تعوزهم الغلظة، يرجمونه بالطوب، هازئين. وما كان يرد إساءة. ولا يؤذي نملة[٥].

كان منا من يهرع إلى "مشنة البتاو"[٦] فيختلس واحدا ليقدمها له. وكان عرفانه لا يعدو نفس النشيج الموجع يشيعه سيل من لعابه. كانت زفته تأخذ غايتها عند "كوبري السارود". وبانعطاف معوض إلى الجبانة ليهجع في حرارة قيظ لا يرحم، كانت الصبية تنصرف عنه إلى شتات من لهو آخر فقد كانت تخشى الجبانة بالفطرة.

## النعش - النبوءة

لم يكن أصل الرجل أو فصله معروفا. من أين يأتي؟ كثر في ذلك القول. زعموا أنه "فيشاوي" حينا ومن "السرو" أحيانا أو من القرى الواقعة إلى الشمال. ولم يره أحد يغادر القرية ولعله لم يغادرها قط. وكان كمن تنشق عنه الأرض. كان الرجال يجتهدون في تعيين قرية موطنا، أما النسوة فكن يتغامزن ضاحكات بكرامات (مشبوهة) افتأتها الرجل[٧].

وكان من عقلاء القرية رجل يدعى "الشيخ الغلام". كان لا يعاني من شظف العيش. والأدهى أنه كان مجربا. وضليعا في إعداد الأحجبة والتعاويذ للمحتاجين والمحتاجات خاصة النسوة العاقرات. وكان هذا فضلا منه عظيما. ولقد رأيته مرة يكتب بقلم (الكوبيا) على ظهر فلاح بائس، أرعن المزاج وحاده به جنه، تذهب بعقله كلما اشتد القيظ فيحرن ويثور ويجرجر زوجته من شعرها على أرض تشققت بفعل الجفاف، تزحف في شقوقها السعالي والجرذان. وأغلب الظن أنه كتب بعض آيات الشفاء[٨]. ومن عجب أن الرجل كان ينهد ويهمد - ربما بفعل التعب أو من اليأس ويجني شيخنا ثمار العرفان، وينزل منزل التوقير في نفوس الفلاحين.

ويزعمون أن رقاه وتعاويذه "وصوفه" لم تكن دوما عديمة الجدوى، ويزعمون أن بركته قد لحقت بأكثر من امرأة، لم تذق طعم الأمومة.

وكانت عادة "الغلام" أن يطلب من مريدته (العاقر) ضمن ما يطلب الاستحمام يوم الجمعة، ساعد الأدان (الأذان) بالضبط بمياه من (بئر سيدى حكيم) في منوف. وتعود من هناك رأسا، إلى جبانة القرية حيث تجد في شقوق أحد المقابر المهجورة "صوفة" - ندفة من صوف رطبة - فتلبسها - وتتوكل على الله. أي تولجها قدر المستطاع إلى أقصى مهبلها.

والحصيفات والشمطاوات من أهل القرية ما كن - حاشا لله - ليتركن الأمر دون الغمز واللمز، الذي يجعل العقل أحيانا يتألق بتأويل الحدس.

---

[٥] في وصف هؤلاء الموعودين "بالولاية"، انظر Lane 1978:228. وهذا الوصف ما زال مطابقا لهؤلاء (المرشحين) حتى يومنا هذا، ومعوض نموذج مثالي في عبادة الأولياء وبقايا العقائد السابقة في الإسلام: Goldziher 1881: Ch. 3.

[٦] مشنة بتاو = سلة خبز، كلمتان فرعونيتان لم تتغيرا. نظير ١٩٦٧:٩٤.

[٧] الكرامة: ما يأتيه (الولي) من خوارق، التواجد في مكانين في نفس الوقت، السير على الماء كما فعل الولي (أبو حصيره) في دمنهور، انظر العادلي وحواس ١٩٧٠.

[٨] آيات الشفاء هي السور التالية: ١٤.٩، ٥٧.١٠، ٦٩.١٦، ٨٢.١٧، ٨٠.٢٦، ٤٤.٤٠.

أما الرجال (القوامون) فتضاحكوا من شطحات نسوة قليلات العقل والدين. معلنين على الملأ، ومتسلحين باليقين الذكوري، أن "الغلام" قد بلغ من الأمر عتيا وأنه وإن كان به فضلة لجماع فليس به فضله لتندية صوفة.

ولأن الغلام كان تقيا ورحيما وميسورا وأبتر (بلا ولد) فإن معوضا وجد في داره ملاذا آمنا، من صبية عابثين، وكسرة خبز وشربة ماء وركنا يهجع إليه. وهكذا فقدت القرية ملمحا احتفاليا سلبيا بتوقف زفة معوض. ذلك أن دار الغلام كانت تقع على الطرف الشمالي الشرقي للقرية عند (مسئة سابلة) مسقاة سابلة.

حتى كان اليوم المشهود "ودبت" الزغاريد - انطلقت - عند دار الغلام وظننا أن البشارة قد وصلت بنجاح تلميذ في الابتدائي أو طالب في الثانوي أو أن محكمة قد حكمت لطرف "بالعدل". ولكن الزغاريد كانت لموت معوض، ولا يحسبن أحد أن نسوة قريتنا من فظاظة القلب وقسوته ليفرحن في موت شماتة، خاصة وأن معوضا لم يرد قط إساءة، ولا رفع عكازه يوما دفاعا، لبؤسه على الأقل. على العكس فإن "أبا[٩] ريالة" هذا المعتوه العي. كان "وليا" طهورا، عندما استبان لنا الرشد: موته وجنازته؛ وحُسم أمر "ولايته" - كونه وليا - بعد دفنه. ولا نحسب أن هناك من يزعم أنه يعرف كيف استلم معوض أركان ولايته ولكن خبر موته سرى سريان النار فى الهشيم وتحلق الجمع بدار الغلام واعتلت الصبية نوافذها وتُسلق سقف الدار من أسطح الجيران والمؤكد أن معوضا غسّل كما يليق بولي وكفن في أدراج ثلاثة. وانتصب النعش من جديد على باب دار الغلام. وخرج معوض محمولا على أكتاف رجال ذاهلة تبسمل وتحوقل[١٠] مستسلمة منبهرة بالمعجزة: "بركاتك يا سيدي معوض" شفاعتك[١١] يا شيخ، سماح يا مولانا. كان يوم الحشر - ومن يومها ونحن نؤرخ عظيم الأحداث بهذا اليوم المشهود ولم يخب (ولينا) رجاء فلاحينا، المشرقين بنور الإيمان وروح المعجزة. فما كاد موكبه وعلى رأسه النعش يمضي خطوات في "درب الغيتة"، في طريقه إلى الجبانة، حتى شعر حاملوه - حسب زعمهم - بأن جبال الأرض حلت على كواهلهم، وركع حاملو النعش من أمام. واختلط الحابل بالنابل وجأرت الحناجر بذكر معوض والله وساد هوس ديني أرعن. وتعلقت الجماهير بالجثمان والنعش "بركاتك يا قطب". "سامحني يا سيدي معوض إن كنت سهوت وأسأت" عبارة طالب أزهري. "العفو من شيم الكرام" هكذا أفصحت اللغة عن مضمونها الراقي في شكله الأسمى وكنت أحسب أننا أفقر عباد الله لغة وتدينا. والتقف الجمع هذه التعبيرات مستبشرا[١٢].

وتقدم الشيخ الغلام من نعش ربيبه وجعل رأسه فوق رأسه المغطى وغمغم بما لا يعلمه الا الله. واستقامت الامور. فلم يخطئ الناس تفسير إشارته، "العلامة". وهب الرجال بالنعش الذي قام بدورة كاملة إلى الخلف والجمع ذهول والزغاريد لا تني تلعلع والتضرعات تعلو. وارتد الجميع إلى دار الغلام: "بيودع يا عيني بيودع حبيبه". هتفت امرأة تقصد أن معوضا يودع الغلام وداره، واستقر النعش على الأرض. وحل الصمت والترقب حتى انه كان يمكن سماع "سقوط الإبرة". وانطلق الموكب يقوده النعش طائرا حينا متباطئا أحيانا عنيدا حرونا حينا. توقف النعش على أبواب دور عُرف أطفالها بالرحمة، وتقديم البتاو والجبنة القريش لمعوض. وأخيرا وصل الموكب

---

[٩] (أبو رياله) تعبير مصري لوصف البلهاء وبطاء العقل والصغار الذين يسيل لعابهم دوما وكذا مخاطهم، ويسخر الصبية من بعضهم بترديد "أبو الرياله عالسياله". أي يمتد لعابه حتى جيبه السفلى من جلبابه على جانبه الأيمن.

[١٠] بسمل وحوقل: سمى اسم الله فقال "لا حول ولا قوة إلا بالله".

[١١] الشفاعة: هي سعي صاحب مكانة لدى آخر لخير طرف ثالث (محمد شفيع المسلمين لدى الله).

[١٢] عن سلوك الجماعة في الزحام انظر Durkheim 1938:5, Freud 1959:Ch.2

إلى الجبانة. وكانت "مقبرة الغلام" قد جهزت لاستقباله. وأقيمت صلاة الميت لمعوض. وقد اعتلت الصبية والنسوة القبور منتهكة حرمتها، وبدا وكأنه يوم الحشر. وعندما كان معوض يُلقن الإرشادات الاخيرة التي لا غنى عنها لرحلته وحيدا: "إذا سألك الملكان فقل: أنا عبد الله، أموت على دينه، وأشهد أن محمدا رسوله[١٣]... وإذا بصبي "مشاغب" يقول: أنت "بتغششه"، "يقصد تلقنه الجواب" "وهو عارف ربنا أحسن منك". وانهالت صفعة على قفا الصغير. وانتهت "الدفنة" بالسلام. واضطربت الناس، وانفض الجمع. كان للمعجزة فعل السحر وغمر الجميع الرضا. وبدأت الوفود تصل من كل القرى المجاورة. راكبة الحمير "والكومبيلات" وعربات النقل، زاعمين أنهم أحق بمعوض لأنه من بلدياتهم. وثار لجاج ثم خصام وشحان. وفي صباح الباكر كان من أغرب ما سمعنا، أن قبر معوض وجد مفتوحا وأن جثمان "المبارك" لم يكن هناك.

ورضي التلوانيون بضريح صغير خال. واضطربت الروايات عن أن "معوضنا" قد طار إلى ديارة. وثمة ضريحان في السرو، وفيشا شاهدة على (ولاية) الرجل.

إن ظاهرة النعش "الطائر والحرون"، معروفة في كل مصر، و تكاد تكون نمطية. وإنها ولا بد تستمد حيويتها من مصر التقاليد، ومن حقيقة واقع الموت، ومحاولة الانتصار عليه، بابتداع الخلود. والأبدية فالتحنيط والبعث فحتى الإله يموت ويبعث (أسطورة إزيس وأزوريس). وهذه الظاهرة تحمل من ذكريات الماضي البعيد الكثير، كما أن النعش يمثل المرحلة الأخيرة من علاقه الميت بالأحياء. فتسعى الجماعة طبقا لنظامها المعلوماتي بتأمين هذا الانقطاع خوفا أو احتراما للميت. وذلك بتصفية الحسابات بين الطرفين، بإشباع حاجات الميت المعروفة سلفا، بتأويل للعلامات. هذا وتعرف كل الشعوب تقريبا، نظاما أو نظما، لتأمين علاقات الفصل، والارتباط بين الأحياء والموتى: نظم لاستحضار أرواح الموتى (السلة) زعم البعض بظهور الميت لأشخاص بعينهم، (Blackman 1995:95-96) فتظهر قتيلة لأخيها وأمها، كاشفة عن قاتلها وموضع دفنها – وحالات اخرى لا تحصى. إن معطيات حياة القتيلة وعلاقتها بزوجها... الخ. هو النظام المعلوماتي الجمعي، والتأويل هو حل شفرات المعلومات الكودية. بالحدس شبه اليقيني لعقل باطن مشغول ووعي متحفز.

وفى حالتنا هذه فإن القاتل المحتمل هو الزوج. أما شريكه فإنه لا الأم ولا الأخ تكهن به. ولسنا بحاجة إلى التوكيد على أن العقل الباطن للحالم هو القوة المبدعة للحلم، وليس المرئى في الحلم. والتاريخ حافل بروايات عن نابهين، ومبرزين، حلوا معضلات، رياضية وفيزيائية وغيرها، في أحلامهم بفعل الانشغال والتوتر. وأية جماعة تدفن ميتا تعرف – فعليا وعاطفيا، بمطالب الميت. التي لم تتحقق وهي – أي الجماعة – مستعدة لإشباع بعض هذه الاحتياجات حتى بعد الموت. وإفادة (Lane 1978:510) تفضح وعي الجماعة (باعتقاد) الميت بحقه في مدفن أليق ... الخ. ومع ذلك فيبدو أن الضرورات الاقتصادية هي سيدة الموقف، وهكذا يجرى خداع الميت كذا! وتدويخه كذا! ثم الإسراع به (طائرا) إلى قبره المعد له. أي أن الجماعة تقوم "بالتشويش" على العلامات التي يرسلها الميت. إن العقل الجمعي هنا مبتذل، رخيص الفطنة، غيبي وناصح، شاطر.

يورد (Lane 1978:510) إفادة على قدر كبير من الخطورة، لم يتنبه لها أحد – ولا هو طبعا – فيما أعتقد – بإضاءة الظاهرة كلها:

---

١٣ (التلقين): آخر ارتباط فيزيقي بين الميت والأحياء، وفي تسجيلاتنا قام المؤذن بإرشاد الميت. لدى تلقي اللاحد له من رأسه وصدره، ليسجيه في قبره: يا عبد الله، إذا سألك الملكان فقل: إنني عبد الله وأومن بدين رسول الله الله ربي لا أشرك به أحدا ... إلخ. وهذا شديد الشبه بما نشره Lane 1978: 517-518. ولكن شعلان (١٧٠:٢٠٠٠) يورد نصا أزهريا مدبجا سخيفا وطويلا ومصطنعا أشبه بموعظة الجمعة، يلقيه الملقن بعد الدفن وعلى جانب الآخر من القبر (الخلف) حتى يسمع الملكان أيضا. ولدينا من القرائن ما يؤكد أن هذا الطقس هو استمرار لطقس فتح الميت بعد انتهاء التحنيط – عندما يقوم كبير الكهنة بواسطة يد خشبية بفتح فم المومياء لتمكن صاحبها من النطق أمام محكمة اوزيريس (Budge 1972:194-9).

> "The funeral of a devout sheykh, or of one of the great 'Ulama, is still more numerously attended, and the bier of such a person is not covered with a shawl. A welee is further honoured in his funeral by a remarkable custom. Women follow his bier, but instead of wailing, as they would after the corpse of an ordinary mortal, they rend the air with the shrill and quavering cries of joy called "zagháreet;" and if these cries are discontinued but for a minute, the bearers of the bier protest that they cannot proceed – that a supernatural power rivets them to the spot on which they stand."

إن معنى هذا، أن العقل الجمعي بعقيدته الراسخة يستعيد بالتداعيات ذكريات ظهور الإله – محمولا على محفة – متصدرا موكبا. وإن التمجيد الذي يحظى به إذا ذاك لاغنى عنه. رع... رع...رع... رى رى رى – راجع الملاحظة رقم (٣). المجد لـ"رى رى رى". تمجد اسمك يا "رى" أيها الرب.

ولكن ثمة معضلة تحتاج لحل! من أين يا ترى للمصريين بهذا النظام العلاماتي المرجعى المؤسس على تذبذبات نعش تؤول على هذا النحو. ونعود إلى الواقعتين اللتين استهللنا بهما ورقتنا هذه الأولى مقدم موكب (المرشح – الإله) محمولا على محفة (النعش). ولنفهم الظاهرة علينا باكتشاف نظائرها المتوازية من الماضي والحاضر. إن الإله رع، أو آمون القابع في قدس أقداسه، كان يخرج وفق مواقيت محددة محمولا على قاربة – محفة. لزيارة نظائره من الآلهة الاخرى أو لمجرد الطواف بالبلاد (حج)[١٤]. ولما كان – وهو العليم المنزه عن الخطأ. والعادل يرد على أسئلة رعاياه وعباده التواقين إلى نبؤة تجلب عليهم الطمأنينة. سواء عند خروجه أو داخل قدس أقداسه. والأدبيات حافلة بالعشرات من: "استنباء الإله" من المغمورين والمبرزين. وحسبنا رحلة الاسكندر المرهقة والطويلة – سبعة أسابيع. في قلب الصحراء إلى واحة آمون – سيوه – طالبا نبوءة من (أبيه) آمون. وتوحد في (أبيه) الإله (ذا القرنين) ويتسمى هو الآخر بذى القرنين توحدا في الإله.

وفي حال خروج الإله فإن نبوءاته كانت تتوسل (بإيماءات) النعش "شفرة" أن حاملي القارب – المحفة – كان عليهم التوقف من حين لآخر – للراحة على الاقل – وإذ ذاك فإن طلاب النبوءات كانوا يتوجهون إلى الإله بأسئلتهم. كان المؤمن يسأل: هل العجل سليم فيشتريه؟ أين عنزته المفقودة؟ هل سينجب ابنا؟ ...الخ. فإذا كانت النبوءة إيجابية فإن صدر المحفة القارب كان يهبط إلى الأرض (بفعل الكهنة طبعا) ناءوا وكأنهم تحت أثقال من رصاص. وإذا تقدم القارب المحفه كان الرد إيجابيا أيضا وإذا ارتد فمعنى ذلك أن الإله قد رفض (Sauneron 1975:104-105). إن "التقليد" الذي وصفناه آنفا هو الينبوع الذي استمد منه "النعش الطائر والحرون" أصوله. ولا تني الوقائع تتواتر عن "نعوش" تؤول تحركاتها الذاكرة الجمعية والوعي والمعلوماتية. وثمة واقعة حدثت في الخمسينات، حدث أن "الجماهير" أقدمت على قصاص (مشروع): قتل قريب الميت!، ذلك أن النعش رفض المرور من وراء بيت القاتل ومن أمامه. مما أثار الشك فالحدس ثم اليقين وطبعت "الجماهير" عدالتها. Sauneron 1975:105-106 ترجم مقالا لصحيفة قاهرية بالواقعة.

والواقعة التي أوردها (Lane 1978:510) إنما تؤكد على أن الوعي والذاكرة الجمعية تسعى إلى تأمين التداعيات وتشبيه، توحيد صاحب النعش المبرز (الولي) بالإله. وذلك بإطلاق صيحات التمجيد رع رع رع — رى رى رى "الزغاريد". تباركت يا رع. ولماذا اقتصر ذلك على النساء في

---

[١٤] لقد احتفظت الأقصر (طيبه) بنصيب مدهش من طقس خروج الإله محمولا على محفة – زورق. في الرابع عشر من شعبان (توفيق عقائدي مصري – إسلامي) فيما يطلق عليه مولد "سيدي أبى الحجاج" والاسم ليس الا ترجمة لخروج "آمون" كبير الآلهة حاجا إلى نظرائه من الأرباب الآخرين. وحيث يطوف موكب الإله "زورقه" – بعد خروجه من الضريح المصطنع القائم فوق معبد الكرنك – وتهتف الجماهير آمون... آمون... آمون. وجدير بالذكر – كمثال – وجود مركب فوق قبة مدفن الإمام الشافعي في مقام الإمام إلى الجنوب من القاهرة وغيره الكثير، ويسمى هذا (القارب)، المركب معدية الشيخ. انظر Blackman 1995:198 نظير وليم Sauneron 1975:45.

أيامنا فمرده أساسا إلى دور المرأة كمحامية عن التقاليد وعزلتها النسبية في مجتمع إسلامي واضطرار الرجال المختلطين بالفاتحين بأحكام الضرورة إلى تبني (سلوكهم). ولكنهم - أي المصريين - يحرنون ما لم تتصد النساء لهذا الدور وبالنسبة (لمعوض) فإن الظاهرة تتألف من موتيفات ثلاث تؤسس نمطا:

١) المستضعف الأبله المجذوب العيي حبيب الله ومريده. الغائب العقل الموعود بالولاية لما أوردناه.

٢) هذا (المتفرد) يحدد مسار جنازته. يرتد إلى بيت وليه. يتوقف بدور هؤلاء الصبية العطوفين عليه - (هذا كان نظاما معلوماتيا متاحا).

٣) انفراج الموقف بطيران النعش بعد تصفية الميت حساباته مع الأحياء وإبلاغ رسالته. (هذا يذكرنا بشدة بموتيف السجادة الطائرة في الأحاديث الشعبية. ثم هجر الميت (الولي) قبره ليحل في بلاد أخرى أي بعثه. ووراء هذا التقليد بلا شك، بعث أزوريس[١٥]، وقبر يسوع المفتوح والخالي في أسطورة "المسيح".

ومن الغريب أن التقاليد والمعتقدات المتعلقة بالنعش و"محفة الإله" ما زالت في عنفوان سيرورتها. وأن آلاف السنين لم تغير كثيرا من ملامح تجلياتها. ولا تفسير لدينا إلا تأجج العاطفة الدينية لدى المصريين وأن رع تحول لديهم إلى رب.

## المراجع


شعلان، سميح عبد الغفار. ٢٠٠٠. الموت في المأثورات الشعبية. القاهرة.

العادلي، صابر. تحت الطبع. سيدى الأربعين: بقايا الأسطورة الأزورية في المأثور الشعبي المصري. "المستعرب" ٢٤-٢٥.

العادلي، صابر وعبد الحميد حواس.١٩٧٠. "بعض الظواهر الفولكلورية في محافظة البحيرة". دورية الفنون الشعبية - القاهرة. ١٢.٢٥-١٥.

عوض، لويس. ١٩٩٣. مقدمة في فقه اللغة العربية. القاهرة.

نظير، وليم. ١٩٦٧. العادات المصرية بين الأمس واليوم. القاهرة.

Blackman, Winifred. 1995. *The Fallahin of Upper Egypt.* Arabic transl. by Aḥmad Maḥmūd, Cairo.

Budge, E. A. 1972. *Egyptian Magic.* London.

Durkheim, E. 1938. *The Rules of Sociological Methods.* New York.

Freud, G. 1959. *Group Psychology.* London.

Goldziher, Ignác. 1881. *Az iszlám.* [In Hungarian.] Budapest.

Herodotos = *Herodotus with an English Translation.* (The Loeb Classical Library) Cambridge, Mass. 1957-60.

Lane, E. 1978. *Manners and Customs of the Modern Egyptians.* London.

Sauneron, Serge. 1975. *Les Prêtres de l'ancien Egypte.* Arabic transl. by Zaynab al-Kurdī. Cairo.


---

[١٥] أسطورة موت أوسير (أزوريس) وبعثه من جديد ليصبح سيد "عالم الموتى". انظر دراستنا (تحت الطبع). وكذا عندما اكتشفت النسوة الزائرات لمدفن يسوع أن القبر كان مفتوحا وخاليا.

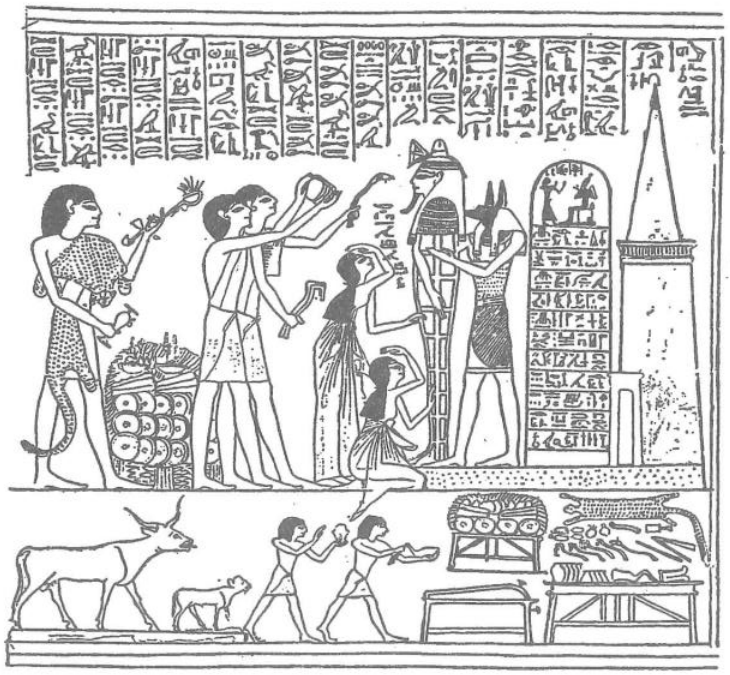

The ceremony of "opening the mouth" being performed on the mummy of Hunefer, about B.C 1350.
(From the *Papyrus of Hunefer*, sheet 5.; Budge 1972:60.)

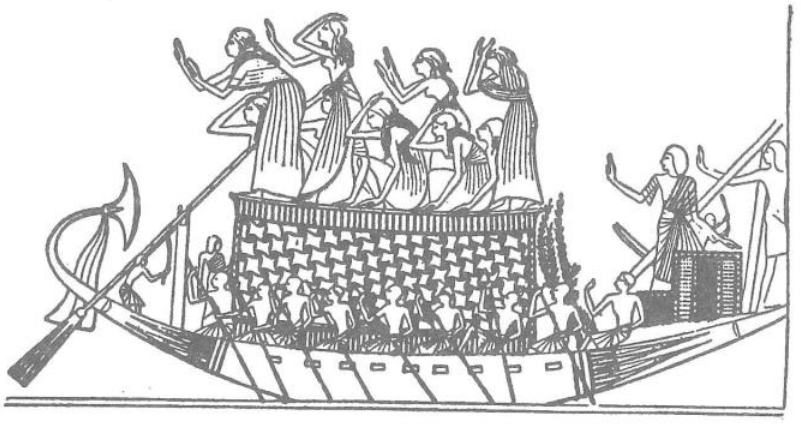

A funerary barge with women beating their heads in token of their grief,
and singing dirges for the dead
(E. A. Wallis Budge, *The Dwellers on the Nile.* New York: Dover, 1977:134.)

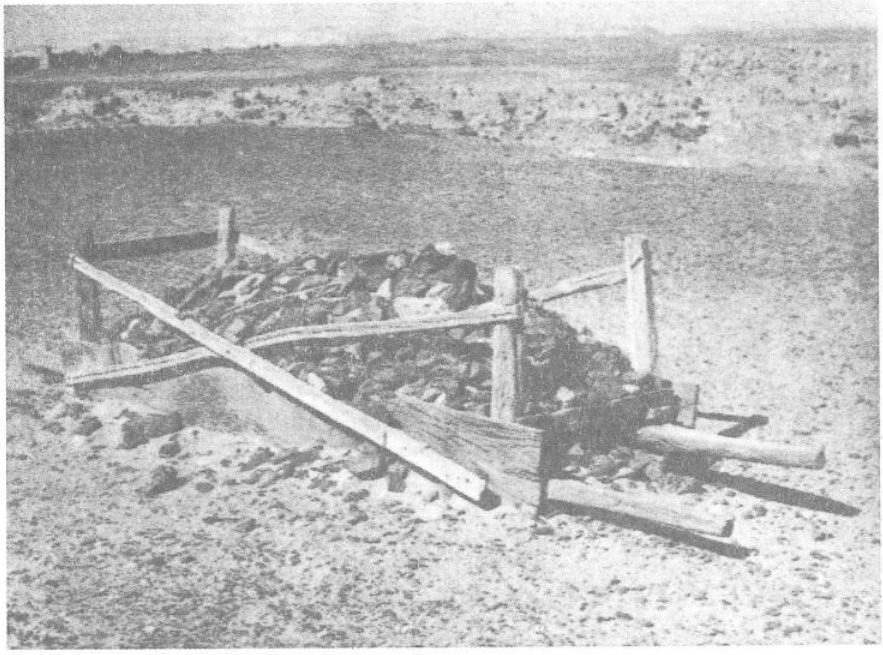

A bier for carrying the dead to the cemetery put upside down
and filled with small stones
(From Ahmed Fakhry, *The Oases of Egypt.* Cairo, nd. II, 55.)